الأمن التربوي ضرورة مدنية

أ.د. بدر مُحَمَّد ملك

2015-6-30م

المجتمع الكويتي مجتمع أصيل – حكومة و شعبا – لن تستطيع الصدمات الدموية، والهجمات الإرهابية أن تنال منه بل لن تزيده المصائب إلا صلابة وصمودا واصرارا. هذا ما شهد به تاريخنا، وأبصرته أعيننا، وتناقله المؤرخون، ويسجله المنصفون. وحدتنا الوطنية – بعون الله سبحانه – أعظم من موجات الكراهية، وحماقات الإرهاب، وفواحش داعش.

إن ترويع الآمنين صورة قاتمة من صور العنف والتطرف والإرهاب، أما قمة الجحود؛ قتل المصلين الركع السجود، في المسجد وفي شهر رمضان المبارك، وفي بلد طيب خيراته تصل إلى كل بلدان العالم. إن تفجير المسجد بمن فيه جريمة بشعة حقيرة لا ترد على الخاطر أبدا وتكاد دقات القلوب تتوقف من سماع هذا النبأ العظيم، والخطب الجسيم. ذلك الحدث الدموي وقع في دولة الكويت قبل أيام، وأثناء صلاة الجمعة في حي الصوابر في مدينة الكويت وتحديدا في مسجد الإمام الصادق. لقد هلك الإرهابي الانتحاري الضال الذي فجر الآمنين، وتحول الشهداء (27 شهيدا) إلى منارات هداية، ونسأل الله الشفاء العاجل للجرحى (227 جريحا). قال تعالى " {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} آل عمران: 169.

هذه الجريمة النكراء تدفع المجتمع الكويتي نحو مواجهة الإرهاب بتحصين الأمن الوطني عبر العناية البالغة بالأمن التربوي القائم على غرس القيم اللازمة لوقاية المجتمع من ويلات العنف. الأمن التربوي أداة أساسية لمواجهة الإرهاب وركيزة حاسمة لمقارعة التطرف الفكري. ومن هنا فإن الأمن التربوي يقوم على مبادئ غرس القيم اللازمة لوقاية المجتمع من العنف، ومواجهة الإرهاب، والتصدي للتطرف على نحو عملي منظم. وفي هذا السياق يمكن حماية النسق المجتمعي وتوطيد دعائم حياة كريمة أساسها القانون والعدل والحوار والسلوك الديمقراطي النابع من روح الدستور الكويتي الشامخ.

وفي هذا المقام يشكل الأمن التربوي منظومة شاملة متكاملة ذات جملة أركان؛ الأمن الوطني، والاجتماعي، والنفسي، والسياسي، والاقتصادي، والديني، والأسري، والتقني، والثقافي، والإعلامي، والأمن

التربوي. إن توحيد الخطاب لهذه الأركان يقي المجتمع مصارع السوء، ويحمي الخطاب المجتمعي من النقص والتناقض.

الطرح السابق يحتم على جميع الجهات المجتمعية –حكومية وأهلية– أن تتعاون مع بعضها البعض عبر اتاحة الفرصة لأهل الاختصاص من التربويين في المشاركة في عملية الاشراف على جودة السلع الثقافية (الألعاب الالكترونية–الأفلام) وغيرها وهذا يتطلب استعانة وزارة التجارة والاعلام بالمتخصصين بالعلوم التربوية ليساهموا في بث المفيد واجتثاث كل خطاب يثير النعرات الطائفية والمذهبية والعرقية. وظيفة المربي أن يقتلع جذور التطرف من خلال نشر الوعي السليم. وفي مجال خطب الجمعة والدروس الدينية يحتاج المكتب الفني في وزارة الأوقاف إلى الاستفادة من توجيهات الجهات التربوية للارتقاء في الخطاب الديني وتخليصه من شوائب التشدد. وهكذا يمكن للتربويين والتربويات المشاركة في صياغة وصناعة الخطاب المجتمعي بصورة رشيدة وتأسيسه عمليا على مبادئ التسامح وتوسيع نطاق الحوار المهذب الحضاري. الحاجة ماسة محليا وإقليميا وعالميا إلى تدريب الناشئة على الاعتراف بالاختلاف أولا، واحترامه ثانيا، واستثماره في عملية التعايش والتفاعل. ومن منظور الأمن التربوي، يجب تكوين أرضية مجتمعية تتسم بالتعاون والايجابية ليشعر من خلالها المواطن والمقيم بأن جميع مكونات وأطياف البلد لديهم قدرة ذهنية وعملية على التعايش السلمي في دائرة الواجبات والحقوق وقيم العطاء اللامحدود.

ترشدنا الأصول السياسية للتربية نحو الإيمان بأن التربية السديدة الرشيدة هي التي تساهم بفاعلية في تحقيق الأمن الوطني وتشد من أزر النسيج القيمي اقتصاديا وثقافيا وسياسيا واعلاميا. وعلى ضوء ما سبق فإن الأمن التربوي مجموعة قيم وجدانية ومعرفية وعملية لبناء شخصية الفرد كي يعيش في بيئة آمنة متفتحة يصون الإنسان فيها روحه وعرضه وكرامته وممتلكاته.

وفي هذا الاتجاه نجد أن التعليم قضية مصيرية ووسيلة أساسية لمفهوم الأمن التربوي. تقول د. أسيل العوضي "إن التعامل الأمني مع الإرهاب وحده لا يكفي، بل محاربة الفكر المتطرف يجب أن تكون قضيتنا الأولى وعلى جميع المستويات بدءا بالتعليم". لا ريب أن هذه النظرة الثاقبة تتطلب آليات عمل وقناعة تامة بأهمية مؤسسات التعليم في مقارعة الإرهاب والتصدي لكل مظاهر العنف المادي والمعنوي.

تاريخيا، فإن المسيرة الكويتية مليئة بنماذج رائعة لأمراء وعلماء ونبلاء مارسوا قيم وثقافة الأمن التربوي قناعة وعملا عندما تعايشوا بكرامتهم مع من يختلف معهم في المذهب والدين والتوجه. كانت بيوتهم قديما متلاصقة وكثير من ممراتها ضيقة لكن صدورهم كانت واسعة وسمحة، وأنفسهم نقية سخية فما سالت الدماء بالباطل على نحو ما نشاهده اليوم، ولم يعرف السابقون بل لم يتصوروا يوما أن الغدر والكراهية والحقد من فئة شبابية ضالة ستستبيح يوما المساجد وتسفك دم المصلين بطريقة همجية داعشية بشعة. إن فواحش داعش كثيرة مليئة بالإرهاب، وهي ثمرة خبيثة لتربية منحرفة قوامها ذهنية التحريم، وعقلية الاقصاء، والتجارة باسم الدين، ورفض الحياة المدنية. عندما يفقد الإنسان الأمن المجتمعي ويسلك سبيل المجرمين يعادي كل صور الجمال؛ فنون وثقافة وآداب ومسرح وموسيقى. الفكر المتشدد لا يجهل الفنون فقط بل يعاديها وينبذ كل جميل. إن الغلو في الدين وتعبئة النفوس بالكراهية وشحنها بالبغضاء وتكفيرهم طريق سلكه الإرهابيون فهلكوا. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ" قَالَهَا ثَلاَثاً. هذه سنة الحياة تنتصر الفضيلة في الجولة الأخيرة وتبوء جرائم الرذيلة بالفشل ...هذه من مسلمات فقه الأمن التربوي، ويجب أن نورثها للأجيال القادمة. علينا أن نورد لكل الأجيال القادمة تعريفا عمليا واضحا للمسلم؛ "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ". يجب أن نورث لهم قصص أبطال وطننا من الشهداء...يجب أن نقص عليهم صبر الجرحى وأهالي الشهداء واحتسابهم .... نحكي لهم قصة أميرنا الذي ضمد الجراح وجمع الشمل... قصة كويت الأسرة الواحدة ... يجب أن نكشف لهم زيف الفكر التكفيري وأنه مبني على تربية متخلفة تعادي الفطرة السليمة والفرح والسرور من جهة، وتنادي بالكراهية والبعض والشرور من جهة أخرى. هذه جميعا معطيات واشتراطات ثقافة الأمن التربوي الذي تزدهر في المجتمعات المدنية.

وخلاصة القول، أن نشر الأمن الوطني من غير عناية بالتربية الرشيدة الشاملة جهد ضائع.